



العاشرة مجلة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرلا، الهند



قسم العربية، كلية الجامعة، تروننترم، كيرلا، الهند، 695034

مقاربات نظرية في مفهوم الأسطورة وأهم الاتجاهات الفكرية في تفسيرها

د/ محمد عبد الرحمن يونس

باحث وروائي وأستاذ سوري

رئيس قسم الأدب العربي، كلية اللغة العربية، جامعة ابن رشد، هولندا

مفهوم الأسطورة

نلاحظ من خلال تعريف القامى للأسطورة أنَّ ثمة خلطاً بينها وبين الخرافية، إذ يبدو مفهوم الأسطورة مفهوماً غامضاً غير دقيق يرتبط أولاً وأخيراً بالأباطيل والأحاديث التي لا نظام لها، يقول ابن منظور^(١) تحت مادة سطر في قاموسه لسان العرب المحبيط: «والأساطيرُ الأباطيلُ». والأساطير: أحاديث لا نظام لها، واحدتها إسطارٌ وإسطارة، بالكسر ... وأسطورٌ وأسطورة، بالضم (...). اللثيث: يقال سَطَرْ فلانْ علينا يُسْطِرْ إِذ جاء بأحاديث الباطل. يقال: هو يُسْطِرْ ما لا أصل له أي يُؤْلِفُ. و في حديث الحسن سأله الأشعث عن شيء من القرآن قال له: والله إنك ما تُسْيِطُ على بشيء أي ما ثرَوْج. يقال سَطَرْ فلانْ على فلانْ إِذ زخرف له الأقاويل ونمَّتها، وتلك الأقاويل الأساطير والسُّطُرُ». ويتفق صاحب تاج العروس محمد مرتضى الزبيدي^(٢)، مع ابن منظور على أنَّ الأساطير هي الأباطيل التي لا أساس لها من الصحة إذ يعتبرها ضرباً من ضروب الكذب. يقول في قاموسه تحت مادة سَطَرَ: «والأساطير» الأباطيل: الأكاذيب والأحاديث لا نظام لها... يقال سَطَرْ فلانْ على فلانْ إِذ جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال هو يُسْطِرْ ما لا أصل له أي يُؤْلِفُ». من خلال شرح بن منظور والزبيدي لكلمة أسطورة نلاحظ أنهما اعتبراها مشتقة من الكلمة «سُطُر»، بينما يورد د/ أحمد عثمان^(٣) رأياً آخر حول أصل الكلمة، يقول: «هناك رأي آخر يقول إنها جاءت من الكلمة الإغريقية «هيستوريا» Historia ... ومعناها «البحث» أو «الفحص» أو «التقصي» وهذه الكلمة الإغريقية هي «هيستور» أو «ايستور» (Histor) بمعنى «العارف» أو «الخبير» أو «المتعلم». ويتابع قائلاً حول أصل الكلمة: «وإذا سألت أحداً من الناطقين باللغات الأوروبية الحديثة عن معنى كلمة أسطورة سيقول لك Myth أو ما شابهها من تلك الكلمات المشتقة من الكلمة الإغريقية Mythos التي تعني أصلاً «الكلمة» في مقابل العمل الفعلي و«القصة الخيالية» في مقابل الحقيقة التاريخية فكلمة «ميثوس» إذن أصل القول بالخرافية من هيسatoria ... ولنعد الآن إلى الكلمة «هيسatoria» التي من المرجح أن تكون كلمة «أسطورة» العربية قد اشتقت منها. فالغريب أن هيسيدوس قد استخدمها بمعنى «الحكاية الخرافية أو الخيالية» في حين ترد عند هيرودوتوس أبي التاريخ بمعنى «المعرفة التي يتم الحصول عليها بالقصي» أو «الإعلام» فهي تقترب عنده من معنى التاريخ و من هنا جاء اشتراق كلمة التاريخ History في اللغات الأوروبية الحديثة و كذلك كلمة القصة الحقيقة أو الخيالية Story^(٤).

وفي اللغة الانكليزية فإنَّ كلمة «Myth» تعني الأسطورة أو الخرافية أو شخصاً أو شيئاً خرافياً، أو الأساطير و الخرافات جملة^(٥). أما هورنبي A. S. Hornby^(٦) فيعرّف الأسطورة «Myth»، بأنها «قصة مستعملة من العصور السالفة،

^١ لسان العرب المحبيط، دار لسان العرب، بيروت، طبعة خياط، دون تاريخ، ج ٢، ص ١٤٣.

^٢ تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، م ٣ ، دون تاريخ، ٢٦٧.

^٣ مجلة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد السابع، مارس، ١٩٨٥ م، ص ٩

^٤ نفسه، ص ٩.

^٥ منير البعلبي، المورد، دار العلم للملاتين، بيروت، طبعة ١٩٨٣ م، ص ٦٠٢.

^٦ Oxford Advanced Learner's, Dictionary Of Current English, Oxford, University Press, P. No. 599

وبخاصة (التي تجسد) المفاهيم والمعتقدات حول التاريخ البدائي للجنس «أو العرق» وهي تعلل الحوادث الطبيعية المهمة كالفضول أو «المواسم». وقد وردت كلمة أسطورة بصيغة الجمع في القرآن الكريم: «ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفهومه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين». سورة الأنعام آية ٢٥ وقد وردت في سورة النحل «وإذا قيل لهم ماذا أثْرَبْتُم قالوا أساطيرُ الأوَّلين». الآية ٤ . وكذلك وردت في سورة «المؤمنون» «لقد وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَساطيرُ الأوَّلين». الآية ٨٣.

ويرى د/ جبور عبد النور^(١) أنَّ الأسطورة Légende تشوّيه للأحداث التاريخية، ويعرفها قائلاً: «سرد قصصي مشوه للأحداث التاريخية تعمد إليه المخيّلة الشعبيّة، فتبتدئ الحكايات الدينية، والقومية، والفنسيّة، لتنير انتباه الجمهور. والأسطورة تعتمد عادةً تقاليد العامة وأحاديثهم وحكاياتهم، فتتّخذ منها عنصراً أولياً ينمو مع الزمن بإضافات جديدة حسب الرواية والبلدان فتصبح غنية بالأخيّلة والأحداث والعقد، وقد تكون الأسطورة من صنع كاتب أو شاعر معين خاص على أحلام شعبه وأدرك العوامل المثيرّة له، وتتوسل بأسلوبه الخاص وَضْعَ أسطورة ناجحة ... تصبح مع مرور الزمان من الفلكلور المحلي أو التراث الشعبي». فإذا كانت الأسطورة سرداً مشوهاً للأحداث التاريخية فإنّها رغم تشوّيهها لهذه الأحداث لا تزال تحتوي على جزء من الحقيقة، إذ من غير المعقول أن يكون هذا التشوّيه مطلقاً، ويمكن القول بهذا الصدد إنَّ أحاديث العامة وحكاياتهم والتي كانت المصدر الأول لبداية تشكّل الأسطورة لابد وأن تحتوي على قسم قد يكون قليلاً أو كثيراً من حقيقة كانت سائدة بين هذه الشعوب والأقوام.

يقول د/ أحمد عثمان^(٢): «المهم عندنا الآن هو أننا لو سلمنا باشتراق كلمة «أسطورة»، من الكلمة الإغريقية «هيسستوريَا» فعلينا أن نقبل بأنَّ الأسطورة ليست محض أكذوبة إذ فيها شيء من الحقيقة. وبالفعل أثبتت الدراسات العلمية- التاريخية والأثرية- أنَّ الكثير من الأساطير ينبع من حقائق فعلية وقعت في زمن ما سحيق أو غير معروف، وحفظها العقل البدائي بمنهجه الأسطوري في التفكير فأضاف إليها ما أضاف وحذف ما لم يستطع استيعابه، وبالغ كلما استهواهه الحكاية، وهكذا تضخمت الرتوش واختفت- أو تخفت- الحقيقة نفسها ووصلتنا أحداث تاريخية قديمة كأساطير ثروى للتسلية والإمتاع»، ويورد مثلاً على ذلك الحرب الطروادية التي سجل هنريش شليمان الألماني من اكتشاف موقع القراء يعتبرونها مجرد أسطورة لا أساس لها من الصحة، إلى أن تمكن هنريش شليمان الألماني من اكتشاف موقع طروادة وتواتت الاكتشافات الأخرى الأخرى في الأماكن التي دارت بها الحرب الطروادية، عند ذاك اكتسبت قناعات جديدة بأنَّ الحرب الطروادية لم تكن مجرد أباطيل، بل هي حقيقة حيّة تاريخية لا جدال فيها. ومن الملاحظ أنَّ كثيراً من الباحثين لا يجدون فرقاً بين الأسطورة والخرافة، إذ يبدو التعريفان متداخلين في نسقهما الدلالي العام، بحيث تبدو عملية ضبط مفهومهما، وتحديد كمصطلح معرفي، عملية ليست سهلة.

يقول د/ مجدي وهبة و كامل المهندس^(٣): ««الأسطورة Myth، Legend»، قصة خرافية يسودها الخيال، وتبرز فيها قوى الطبيعة في صور كائنات حيّة ذات شخصية ممتازة ويبني عليها الأدب الشعبي، تُستخدم في عرض مذهب أو فكرة عرضاً شعرياً قصصياً. والأسطورة بهذين المعنيين سرداً لا يتفق عناصره مع الحقيقة الملحوظة، إلا أنها محاولة لتفسير ... النظم الكونية كما تبدو للإنسانية». إنَّ الأسطورة والخرافة بنيتان مهمتان من تراث الشعوب القديمة والحديثة، وترتبطان

^١ المعجم الأدبي، دار العلم للملاتين، بيروت، الطبعة الأولى، آذار، مارس، ١٩٧٩ م، ص ١٩.

^٢ مجلة القاهرة، م س، ص ٩.

^٣ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ م، ص ٢١.

بالطقوس والمعتقدات لدى هذه الشعوب، وهم يتدخلان مع التاريخ أحياناً، ومع الميثولوجيا والأنثروبولوجيا^(١)، ولذا يصعب الفصل بينهما فصلاً تاماً، فكلاهما بنية ميثولوجية، تحددت معرفياً منذ بداية تشكيل المجتمعات البشرية في حضاراتها الأولى. والميثولوجيا هي الخرافة والأسطورة في آن، فالميثولوجيا Mythology هي عبارة عن «نص أو وثيقة من مجموعة الأساطير والخرافات «المتعلقة بالآلهة وأنصار الآلهة والأبطال الخرافيين عند شعب ما» من الأجناس «أو السلالات في مراحل تطورها الأولى»^(٢)». ويرى د/ مجدي وهبي^(٣) أن «معنى الأسطورة توسيع ليشمل الخرافة، أي مجرد القصة الكاذبة التي لا يقبلها العقل، وليشمل أيضاً ذلك التشويه الخيالي لشخصية حقيقة ماثلة في ذهان الناس باطراد من أمثل الساسة ونجوم السينما أو الرياضة، فينسب الناس العاديون لها صفاتٍ خارقة للعادة هي في الواقع بمثابة تعويض عما يشعرون به من تفاهة أو ذلة». وإذا اعتبرنا أن الميثولوجيا (Mythology)، هي: «دراسة وعلم الأساطير أو الأساطير الجماعية اليونانية»^(٤)، وهي مجموعة النصوص والوثائق التي تتصل بالآلهة وأنصار الآلهة والأبطال الخرافيين، فإن الخرافة والأسطورة تنضويان تحت هذا المفهوم، إلا أن ما يميز الخرافة عن الأسطورة، هو أنها - أي الخرافة - أحداث وهمية تبدعها الذاكرة الشعبية للألم والحضارات، معتمدة بالدرجة الأولى جموع خيالها الغولي التلقائي، وهي ذات طابع رمزي بمعنى أخلاقي، وعموماً يكون أبطالها حيوانات أو طيوراً، كما أبطال حكايات - كلية ودمنة - التي ترجمها عبد الله بن المقفع عن الفارسية، وقد يكون هؤلاء الأبطال نباتات معروفة.

و«الخرافة» Fable هي عبارة عن حكاية حيوان تستهدف غاية أخلاقية، وهي قصة تقوم بأحداثها حيوانات تتحدث وتتصرف كالإنسان وتحتفظ مع ذلك بسماتها الحيوانية، وتقصد إلى مغزى أخلاقي، وللخرافة في العادة قسمان: أولهما السردد القصصي الذي يجسم الغاية الأخلاقية، وثانيهما تقريرُ هذه الغاية بعبارة مركزة تَتَّخِذُ في الغالب الأعم شكل المثل السائر الذي يتعدد في يسر على السنة الناس، وكأنه الخلاصة الكاملة للحكاية بأسرها، ومما يؤكد تطور الخرافة عن الحكاية التقليدية السابقة عليها، إنها تتجاوز مجرد التفسير أو البحث عن علة حدث أو ظاهرة إلى استغلال الحكاية لتدعم قيمة أخلاقية أو مثل أخلاقي أو لنقد سلوك الناس وتصرفاتهم. ويرى بعض العلماء أن الخرافة أرقى من المأثور الشعبي، وأنها ثمرة ثقافة مُفلسبة إلى حد ما، وإن اعتمدت في تركيب عناصرها على المادة الشعبية^(٥). وترتبط الخرافة بالحكاية الشعبية في تهويلها للأحداث، واعتمادها على الخوارق والقدرات السحرية التي يقوم بها، أبطال غير عاديين من البشر، أو من الجن والسحر، وهي تشير أحياناً «إلى تفسيرات لبعض الظواهر الطبيعية، لا أساس لها في الحقيقة والواقع كتفسير خسوف القمر أو كسوف الشمس بابتلاع تنين لأحد الكوكبين»^(٦).

إن جميع الميثولوجيات العالمية انطلقت من أسس خرافية، تشعبت وتلاحمت لدى عدد من الشعوب فكونت وحدة متربطة متداخلة^(٧)، أما الأساطير فإن لها خلفية تاريخية ذات بنية وثيقة الصلة بعادات الشعوب وخلفيتها المعرفية من خلال صدورتها التاريخية سواء أكانت هذه الشعوب إغريقية أم بابلية أم عربية، ويمكن القول إن كثيراً من الأساطير تشكل جزءاً من الواقع، أو هي متداخلة معه كحرب طروادة، وقصص الأقوام البايندة: عاد وثمود، وقصة عنتيرة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وبطلات بنى هلال، والزير سالم، والأميرة ذات الهمة. ويرى د/ أنيس فريحة أن الأساطير في بدايتها كانت

^١ الأنثروبولوجيا: و هي في الأصل كلمة يونانية، وتعني علم الإنسان، وهو علم يبحث في طبائع الإنسان، و في أصل الأجناس البشرية، وتطورها، وأحوال معيشتها، وعاداتها، وفنونها، وأدواتها، ومستنبطاتها، ومعتقداتها، وطقوسها.

^٢ A.S.Hornby. OP. CIT, P. No. ٥٩٩.

^٣ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، م س، ص ٢١.

^٤ A.S.Hornby. OP. CIT, P. No. ٥٩٩.

^٥ د. عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م، ص ١١٦.

^٦ نهى جريح، " بين الأسطورة والخرافة "، مجلة هنا لندن، دار هيئة الإذاعة البريطانية، لندن،

^٧ العدد ٤٤٠، حزيران، يونيو ١٩٨٥ م، ص ٥.

^٨ د. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص ١٠١.

نوعاً من التمثيل المسرحي الذي يقام احتفاءً بمقدم الفصول، ويقول^(١): «ليس بمستبعد أن تكون هذه الملاحم والأساطير أصلاً، تمثيليات فصلية «Seasonal Drama»، الواقع أن ملحمة «مولد السحر والغسق» أو «مولد الآلهة الجميلة الوسيمة» هي تمثيلية، لأن التعليمات التي تصدر فيها للجوقة والممثلين تشير بوضوح إلى أن تمثيلاً على مسرح كان يرافق موسم تلاوتها الجماعية. نعم، إن ما وصلنا من هذه الملاحم والأساطير ناقص، ومشوهٍ وفي أحياناً كثيرة غامض المعنى وغامض الإشارة، ولكن معالمها، وخطوطها الرئيسية، تشير بوضوح إلى أنها كانت يوماً تمثيليات فصلية تمثل أو تُتلى في المجتمعات عامةً احتفاءً بمقدم فصل، أو احتفاءً بذكرى». ويرى رينيه ويليك^(٢) أن الأسطورة هي «الاصطلاح المفضل في النقد الحديث، وهي تشير إلى، وتحوم على حقل هام من المعاني، يشتراك فيه الديانة والفولكلور وعلم الإنسان وعلم الاجتماع والتحليل النفسي والفنون الجميلة».

ويبدو أنَّ مفهوم الأسطورة، بالرغم من الدراسات الكثيرة حوله يبقى غامضاً ومعقداً ومتشاركاً في دلالاته وأبعاده، ويحتاج إلى مزيد من الاستقصاء والبحث لتحديد كمصطلاح دقيق، وكأدلة معرفية لها قسماتها الخاصة التي تسمها عن غيرها.. وطبعي أمام غموضه أن لا يتفق الباحثون المختصون بعلم الأساطير والميثولوجيا على ضبط مفهوم محدد له. ويرى د/ عبد الحميد يونس^(٣) أنها واقع ثقافي معقد، ويعرّفها قائلاً: «من العسير أن نضع تعريفاً للأسطورة يجتمع عليه رأي العلماء المتخصصين ذلك لأنَّ الأسطورة واقع ثقافي معنوي في التعقيد تختلف حوله وجهات النظر. وحسبنا أن نورد هذا الوصف الذي يتسم بالشمولي وهو أنَّ الأسطورة تروي تاريخاً مقدساً، وتسرد حدثاً وقع في عصور معينة في القدم. عصور خرافية تستوعب بداية الخليقة. أو بعبارة أخرى الأسطورة تحكي بوساطة أعمال كائنات خارقة كيف برزت إلى الوجود حقيقة واقعة ... قد تكون كل الحقيقة أو كل الواقع مثل الكون أو العالم ... وقد تكون جانباً من الحقيقة مثل جزيرة من الجزر أو فصيلة من النبات أو ضرب من السلوك الإنساني أو منظمة اجتماعية ... والأسطورة بهذا المعنى قصة «وجود ما»، فهي تروي كيف نشا هذا الشيء أو ذاك. وهي ترتبط بالواقع في أولوياته، وأبطالها كائنات خارقة يُعرفون بما حققوا في عصور التكوين».

إن هذا التعريف يتناقض مع تعريف ميرسيما الياد، الوارد في كتابه مظاهر الأسطورة^(٤)، مع بعض التفاصيل الشكلية في بنية اللغة، والتي قام بإجرائها الدكتور عبد الحميد يونس، ويتطابق معه في مفاهيم كثيرة، حتى يبدو التعريفان قربيين أحدهما من الآخر. يقول ميرسيما الياد^(٥): «من الصعب جداً إيجاد تعريف للأسطورة يكون مقبولاً لدى كل العلماء ... إنَّ الأسطورة واقع ثقافي جدَّ معقد كما أنه يمكن أن يتناول و يقول من منظورات متعددة. إن التعريف الذي يبدو لي شخصياً الأكثر شمولية هو التالي: الأسطورة تحكي قصة مقدسة، فهي تروي حدثاً وقع في الأزمنة الأولى، زمن «البدايات» الخارق. بعبارة أخرى: الأسطورة تروي كيف أنه بفضل إنجازات للكائنات فوق الطبيعية، ظهرت واقعة ما إلى الوجود، سواءً تعلق الأمر بالواقع ككل أي بالكون، أو بجزء منه فقط: جزيرة كانت أو نوعاً نباتياً أو سلوكاً بشرياً

^١ د. أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من أوغاريت "رأس الشمرا"، منشورات الجامعة الأمريكية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م، ص ٩٣.

^٢ رينيه ويليك، اوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة: محى الدين صبحي، منشورات المجلس الأعلى للفنون والأدب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٢ م، ص ٢٤٥ - ٢٤٦. وأخذ رينيه ويليك و اوستن وارين من كتاب لوردرغان، البطل، لندن، ١٩٣٧ م.

^٣ د. عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٥ يونيو ١٩٦٨ م، ص ١٩.

^٤ M.Elide, Aspect Du Mythe. Ed. Gallimard, Collection Idées, Paris, 1963

^٥ ميرسيما الياد، بنية الأساطير، فصل مترجم من كتاب مظاهر الأسطورة، ترجمة د. محمد يشوتي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، العددان ١٤/١٣، ١٤/١٢، ربيع ١٩٩١ م، ص ٨٠.

أو مؤسسة، فهي إذن دانماً قصة «خلق»: تخبر كيف تكون شيء ما وكيف بدأ في الوجود. الأسطورة لا تتحدث إلا عمّا وقع بالفعل، أي عمّا كان جليّ الظهور». ويعرف رولان بارت^(١) الأسطورة قائلًا: «تقاليد يكشف عن واقع طبيعي أو تاريخي أو فلسي من خلال المجاز أو الاستعارة، وهذا هو معناها عند الإغريق، ثم يقول إنها تحولت إلى عملية تضليل، وشيء عابث خادع، وفي نهاية المطاف إلى (رمز)، ويستخدم في حديثه عنها عبارات مأخوذة من السانديات. فهي «كلام» و«رسالة» و«نظام للتواصل». وهي «لا يمكن أن تكون شيئاً أو تصوراً أو فكرة، بل شكل ومعنى».

إن في الأسطورة عناصر واضحة من عناصر القصة والحكاية، فهي بنية قصصية تعتمد عنصر الإثارة والتثبيق والفكرة، والشخص والأحداث. والأحداث فيها تتعقد وتتأزم، ثم ثُفك بواسطة البطل المخلص، أو بواسطة المساعدين له، وهي تشير عموماً إلى مبادئ أخلاقية وجمالية، وإلى صراع بين قوى الشر والخير، ويكون المنتصر فيها بشكل عام قوى الخير، ويبدو أن معظم الباحثين يتفقون على أنها نمط معين من القصة، قد تكون بسيطة، وقد تكون معقدة ومتداخلة مع قصص أخرى. ويقول د. دي. روجمون D. De. Rougement في كتابه *الحب والغرب*^(٢) عن الأسطورة: «يمكن أن نقول، بصفة عامة، إنَّ الأسطورة قصة أو حكاية رمزية بسيطة ومؤثرة، تلخص عدداً لا ينتهي من المواقف المتشابهة قليلاً أو كثيراً. وبالمعنى الضيق للكلمة، تترجم الأسطورة قواعد السلوك عند جماعة اجتماعية أو دينية بعينها، وتتنمي وبالتالي، إلى العصر المقدس الذي تكونت حوله هذه الجماعة. والأسطورة لا مؤلف لها و يتبعها أن يكون أصلها غامضاً، وأن يكون معناها نفسه غامضاً إلى حد ما. ولعل أعمق سمات الأسطورة أنها تتمكن منا، رغمَ عنا». ومنذ أن وُجد الإنسان في الكون، وهو في حالة صراع مع كل القوى الخارجية، من أجل ضمان استمرار يته، وكانت الطبيعة بالنسبة له سراً مستغلاً، ومن طبيعة الإنسان أنه دائم البحث والتقصي لفهم ذاته، وكل الأشياء حوله، وسبب وجوده، وحقيقة هويته، ولذا لجأ إلى الأسطورة في محاولة منه، لفهم وتفسير ما صعب عليه، فمُرجم الأسطورة بالحكاية و بالدين و بالسحر، وباتت بنية معرفية وثقافية هامة في حياته.ويرى بعض من الباحثين أنَّ «الأساطير حكايات أو تقاليد تحاول تفسير منزلة الإنسان في الكون، وطبيعة المجتمع، والعلاقة القائمة بين الفرد والعالم الذي يدركه، ومعنى الأحداث في الطبيعة». (٣).

إن الاستخدامات العديدة لكلمة أسطورة عبر تطورها التاريخي، يجعل منها مصطلحاً حراً سانياً قابلاً للتبني والتغيير، ولأكثر من تأويل، وذلك من باحث لآخر، وغير قابل للضبط والتحديد، وبالتالي فإنَّ آفاق البحث في منهج دراستها وتعريفها ووظائفها، وتحديدتها كمصطلح نقدي، لم تنته بعد، ولن تنتهي، حتى أن أحد النقاد المعاصرين لا يفرق بين الأسطورة والحكاية الخرافية Fable. يقول: «استخدمت الكلمة «أسطورة»، أو «حكاية خرافية» استخدامات متعددة ومختلفة على مر العصور... فمثلاً استخدمت في تسمية السرد الروائيخيالي الذي يدور حول قوى ما فوق الطبيعة أو حول الأشخاص الذين لا يمثّلون إلى عالمنا بصلة، و غالباً ما ينتمون بطريقة أو بأخرى إلى الفن الفلكلوري الشعبي كما نجد في مفهوم ميلتون وجولد سميث. وأحياناً تطلق الكلمة «أسطورة» على أية قصة تدور حول أحداث تافهة وموافق لا معنى لها مثلاً نجد في حكايات النساء العجائز التي تحدث عنها وايكليف وبيكون، وأحياناً أخرى تطلق الكلمة «حكاية خرافية» على الصياغة الفعلية لأحداث واقعية أو مزيفة، أو على أشياء يفترض وجودها برغم عدم وجودها الفعلي كما في مفهوم مارلو وشيكسبير ودراديون. كذلك يستخدم الاصطلاح في تسمية المواقف أو الأشياء التي أصبحت من قبيل

^١ عن / د. سامية أسعد، الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر، مجلة الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد ١٦، العدد الثالث، ١٩٨٥ م، ص ١١٢.

^٢ المرجع السابق، ص ١٠٩.

^٣ د. ماجد فخري و د. كريم عزقول و د. فاروق البقلي و آخرون، موسوعة بهجة المعرفة، اشراف الصادق النيهوم، المجموعة الثانية "الإنسان والمجتمع" ، الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٧٩-٣-١ م، ص ٨٢.

الأمثال والحكم كما عند بن جونسون وتيينسيون وثاكري، وأحياناً يطلق على حركة المسرحية أو مغزى القصيدة كما يستعمله درايدن وأديسون وسامويل جونسون^(١).

إن مصطلح الأسطورة على الرغم من الدراسات الكثيرة حوله يبقى غامضاً نسبياً، وقد تساعل سنت أوغسطين^(٢). قديماً: «ما هي الأسطورة؟ إنني أعرف جيداً ما هي بشرط لا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سئلتُ وأردتُ الجواب فسوف يعتريني التلكؤ». ويرى هيرمان نورثروب فراي^(٣) أن الأسطورة نمط معين من القصة، يقول: «إنها قصة تكون بعض شخصياتها الرئيسة آلهة أو كائنات أعظم قوة من الإنسان، ومن النادر أن تضعها في مكان من التاريخ، حيث يتبعوا الحدث الأساسي فيها مكاناً في عالم «يتجاوز أو يسبق الزمن العادي In ILLO Tempore Mircea Eliade على حد تعبير ميرسيا الياد

Eliade. ومن ثم فإنها، كالحكاية الشعبية إطار قصصي مجرّد. تستطيع الشخصيات فيها أن تفعل ما تشاء، أي كما يريد قاصّ القصة: فليس ثمة من ضرورة كي تكون مقبولة عقلياً أو منطقية في يواعتها وأسبابها. والأشياء التي تحدث في الأسطورة هي نفسها الأشياء التي تحدث في القصص فحسب، حيث هي عالم أدبي مستقل». إن الأسطورة في بنيتها العميقه قصة، تمتّد بخلفيتها المعرفية إلى الظواهر الطبيعية والدينية، وأعمال الأبطال الخارقة، وتحاول أن تفسّرها. ويرى خلون الشمعة^(٤) أن الأسطورة «قصة متداولة أو خرافية، تتعلق بمكان خارق أو حادثة غير عادية، سواء أكان أو لم يكن لها أساس واقعي أو تفسير طبيعي. وتقدم ... تفسيراً للظاهرة الدينية أو فوق الطبيعية، كالآلهة والأبطال وقوى الطبيعة. والأسطورة بالمعنى الواسع الفضفاض للكلمة، قصة مُخترعة أو ملقة وأماماً في الفلسفة فالأسطورة هي الصورة التي تمثل أحد المذاهب الفلسفية بأسلوب رمزي يجمع بين الحقيقة والوهم».

وتلتقي الأسطورة مع الحكاية الشعبية، «فالأساطير، مقارنة بالحكايات الشعبية عادة ما تكون على درجة خاصة من الجدية، فيعتقد الناس أنها «قد حدث بالفعل»، أو أنها ذات مزايا نادرة تفسّر ملامح معينة كالطقوس مثلاً، وعلى حين تتبّع الحكايات الشعبية ببساطة في موضوعاتها الدالة Motifs داخلياً وتحوّل إلى متفرقات وأشتات، تبدي الأساطير ميلاً عجيباً نحو التلاحم قاصدة إلى إقامة أبنية أكبر»^(٥). إن الأسطورة بنية رمزية تشكّلت مع تطور الفكر البشري عبر نموه من خلال الحضارات المتعاقبة والمترادفة، إنها «خلاصة تجارب حضارية متعددة، وحصلة أجيال متالية، وهي جوهر تفكير وتأمل طوبيلين عبر عصور متلاحقة، والأسطورة أيضاً رمز يقبله الناس منذ أزمان بعيدة»^(٦).

إن التبّاعين الحاصل في فهم معنى الأسطورة عائد إلى التّبّاعين الاجتماعيين والثقافيين، والمعتقدات الدينية والمذهبية، والبنيان الفكري الذي ينتمي إليها كل من حاول أن يفهم الأسطورة ويضع تعريفاً لها، بالإضافة إلى العادات والطقوس التي تحكم في حضارة ما، والتي بدورها تختلف عن عادات وطقوس المجتمع الآخر. وهي ترتبط بنية الإنسان الذهنية والنفسية. إنها بنية ثقافية أنشأها العقل الإنساني، معتمدًا على كل الحقول المرجعية التي رافقته في رحلته الحضارية. ولقد ذهب العلماء في تعريف الأسطورة «مذاهب شئ، فمنهم من رأى في الأساطير حكايات القدماء

^١ د. نبيل راغب، دليل الناقد الأدبي، مكتبة غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧ م، ص ٣٣.

^٢ ك. رانفين، الأسطورة، ترجمة جعفر صادق الخيلي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الأولى ١٩٨١ م، ص ٩.

^٣ هيرمان نورثروب فراي، في النقد والأدب، "الأدب والأسطورة"، ترجمة ابراهيم شيخه، مكتبة النهضة القاهرة، طبعة ١٩٨٩ م، ص ٦٧ - ٦٨.

^٤ خلون الشمعة، مدخل إلى مصطلح الأسطورة، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، العدد ١٩٧١، تموز ١٩٧٨ م، ص ٧.

^٥ هيرمان نورثروب فراي، في النقد والأدب، "الأدب والأسطورة"، ص ٦٨.

^٦ د. أحمد عثمان، على هامش الأسطورة الأغريقية في شعر السباب، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الثالث، العدد الرابع، يوليو، سبتمبر ١٩٨٣ م، ص ٣٧.

في الدين مثل زينوفانيس Xenophens^(١)، ورأى سقراط أن صفات الآلهة يمكن اكتشافها من تحليل أسماء الأصنام. ومنهم من ذهب إلى استنباط فلسفة الأولين مثل تياجينس Theagenes^(٢)، الذي سلك أصحاب التشبيه والمجاز، فقال مثلاً: إن المقالة بين الآلهة ليست بمقاتلة حقيقة، بل يُعبر بها عن التنازع بين عناصر مختلفة مثل الهواء والماء والنار والتراب، أو بين عواطف نفسانية مثل الحب والعداوة، ومنهم من قال إن الأسطورة هي التاريخ في صورة متنكرة (Euhemerus^(٣)). ومن هنا يظهر أن كل واحد من العلماء اختار نوعاً من أنواع الأساطير ولم يضع تعريفاً جاماً مانعاً للأساطير بأسرها»^(٤). ويذهب ماكس مولر Max Muller^(٥)، إلى أن الأسطورة، إنما نشأت نتيجة قصور في اللغة، مما يؤدي إلى أن يكون للشيء الواحد أسماء متعددة، كما إن الاسم الواحد كثيراً ما يطلق على أشياء مختلفة، ويعرفها بأنها «مرض من أمراض اللغة» Disease Of Language^(٦). وكان من نتيجة تصوّر ماكس مولر لطبيعة الأسطورة: «أن خلط الناس بين الأسماء ومالوا إلى الاعتقاد بأن الآلهة المتعددة ليست إلا تصوّرات مُختلفة لإله واحد، وجنحوا كذلك إلى تصوّر إله الواحد على هيئات متعددة. ثم إن استعمال المقاطع الأخيرة الدالة على الجنس تذكيراً وتائياً يؤكد تشخيص الآلهة»^(٧).

ومن خلال مجمل الآراء والمفاهيم السابقة يمكنني أن أثبت المفهوم الآتي للأسطورة، من دون أن أدعى أنه صحيح أو دقيق: إن الأسطورة قصة رمزية تحمل في بنيتها العميقة خلاصة تجربة الشعوب الفكرية على المستوى الديني والنفساني والاجتماعي والأنثروبولوجي، وتهدف هذه القصة من بين أهدافها إلى طرح إشكالية الصراع الأزلي بين الخير والشر عن طريق تهويل الأحداث وتشابكها وتعقدتها ثم حلها، معتمدة على إبراز عدد من الثنائيات الضدية التي تسود في المجتمعات الإنسانية من شر وخير، وقبح وجمال، وضعف وقوه، وطيش وحكمة، وغباء وذكاء .. الخ، وما يميز أبطال هذه القصة الإيجابيين تفوقهم الخارق، سواء على المستوى الجسمي أو المستوى العقلي، أو بواسطة عوامل مساعدة غيبية تسخر نفسها لخدمتهم بواسطة السحر أو الذكاء الخارق، أو بواسطة قوة الآلهة الخارقة، وقد يشكل العقل الذي يخترع ويتخيّل ويبدّع هذه القصة أبطالاً لها من الآلهة، أو أنصاف الآلهة أو من الجن أو العفاريت، أو أفراداً عاملة من بني البشر، أو يضفي هذا العقل على أشخاص تاريخيين أو مقدسين غرفوا عبر مسيرتهم الزمنية والفكرية بالتفوق المعرفي والفكري والحكمة السياسية، أبعداً خارقة، فيصبح هؤلاء الأشخاص بمثابة الأبطال الأسطوريين، بل يفوقونهم أحياناً، أي أن الأسطورة يمكن أن تولد من رحم التاريخ، بالرغم من أنها ليست حادثة تاريخية تماماً، لأن العقل الجماعي الذي شكّل هذه الأسطورة حول هذه الأحداث التاريخية إلى أحداث خارقة للعادة، وربطها بالدين والسحر والميثولوجيا، هذا وتنهل الأسطورة من حقول فكرية مرجعية متعددة: من الدين والتاريخ والفلكلور والمأثورات الشعبية والخرافات والحكايات الشعبية غير المدونة. أي أن الأسطورة بنية ثقافية مركبة ووعي جمعي صاغته عشرات المعارف والخبرات والتواريخ والحكايات، ويبدو لي أن الباحث في مصادر الأسطورة وأبعادها لا يستطيع فصلها عن التاريخ والدين والطقوس والمعتقدات. وقبل أن تكون الأسطورة حكاية بأحداث وشخوص يتجاوزون، ويتفاعلون ويتشاركون، فإنها منهج فكري اعتمد عليه الإنسان القديم ليفسّر به نشوء الكون ونظامه، وبدع الخليقة، ومن ثم ليفهم ظواهره

^١ Introduction To Mythology, By Lewis Spence, P. No.41

^٢ Ibid. P. No.41

^٣ Ibid. P. No.42

^٤ عن / د. محمد عبد المعين خان، الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١ م، ص ١٦ - ١٧.

^٥ وهو ما ذكر رقم ٣١ - ٣٢ - ٣٣ مأخوذة عن هذا المرجع.

^٦ د. عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، ص ٣٤.

^٧ Max Mulier “On The Science Of Thaught”，P. No. 7

وتناقضاتها، وانسجامها ولبيصور أشكالاً وموافق وسلوكيات لطبيعة الآلهة التي خلقت هذا الكون، والتي ظنها هذا الإنسان أنها متعددة، منها ما هو للبحار، ولسماء ولأرض والكواكب، ومنها ما هو لعالم الجحيم والموت والحياة، والجمال والحكمة، ولبيصح هذا الإنسان بخياله العفوي والتأملي الإبداعي معتقداً أن لهؤلاء الآلهة صوراً مشابهة لبني البشر من حيث كونهم يعيشون ويتزوجون ويتعاركون، ويتباغضون في سبيل الملك والسطوة والنساء، ومن هنا فإن الأسطورة عند هذا الإنسان تعبير عن خيالات وأوهام وأفكار تأملية، قبل أن تكون تعبيراً عن منهج عقلي، لكنها سجل لخبرات الإنسان ومعارفه وحكمته ورؤيته لثانية الصراع الأبدى بين الخير والشر، وتغليبه فكرة انتصار الخير، من دون أن ينهزم الشر أو ينتهي، وبالتالي ديمومة الحياة ونماذجها، إلى جانب استمرار الشر وظواهر الفناء.

بعض الاتجاهات الفكرية السائدة في تفسير الأسطورة

نظراً إلى الأهمية التي تحملها الأسطورة في الفكر الإنساني فقد خضع تفسيرها لاتجاهات فكرية متعددة سواء كانت نفسية أو دينية، أو شعبية أو عقلانية، أو إيديولوجية يغلب عليها خطاب الأطروحة ويتحكم في مسار توجهها العام، ولقد «كانت علاقة الإنسان مع ذاته في الأسطورة أمراً مهماً، يحتاج إلى التفسير. وقد صنع الفنان من نفسه منذ وقت مبكر - ولا يزال حتى اليوم - مفسراً للأسطورة، إنه يحاول دائماً أن يجيب عن هذين المسؤولين: لماذا؟ وكيف؟ بأن يتجاوز الستار العاطفي إلى ما يمكن أن تتطوّر عليه من حقائق. ولما كانت الأسطورة لهذا ميداناً خصباً للتأمل والتفكير. ولما كانت من الرحابة بحيث لا يمكن الاستحواذ على مضمونها دفعه واحدة، كان طبيعياً أن نصادف للأسطورة أكثر من تفسير»^(١). ويعتبر «ي. ياخوفن»، و«سيجموند فرويد»، من أوائل الذين مهدوا «السبيل لفهم الحديث للأسطورة... والأول بما لا يُبَدِّل من نفاذ البصيرة والألمعية لديه فهم الأسطورة بمعناها الديني والسيكولوجي فضلاً عن التاريخي. أما الثاني فقد ساعد على فهمها بافتتاحه فهم اللغة الرمزية على أساس تفسيره للأحلام. وكان ذلك عوناً للميثولوجيا غير مباشر أكثر مما هو عون مباشر، لأن فرويد مال إلى الأرى في الأسطورة - شأنه في النظر إلى الحلم - سوى التعبير عن الدوافع اللامعقولة المعادية للمجتمع بدلاً من أن يرى فيها حكمة العصور الماضية معتبراً عنها بلغة خاصة، هي لغة الرموز»^(٢). وقد ركز فرويد في دراساته على الجنس باعتباره مفتاحاً مهماً لفهم الأسطورة وعلاقتها بخبايا النفس الإنسانية^(٣)، وعلى المكتوبات العميقية من دوافع غريزية في النفس البشرية والتي تترافق في منطقة اللاشعور^(٤). ويرى كارل يونج أن «ثمة علاقة عميقة تربط بين الأحلام والتراث الأسطوري، ويؤكد أهمية الأسطورة في المجتمعات البدائية والمتحضرية ويعتبر أن المجتمع الفاقد لأساطيره يعني كارثة أخلاقية تعادل فقدان الإنسان لروحه»^(٥).

ويؤكد كارل يونج أيضاً أهمية اللاشعور الجمعي، وقدرته على اختزان الصور بأساقها النفسية، وقدرة هذه الصور على إظهار مزيد من الرؤى الإبداعية، التي تنحدر من الخلفيات المعرفية للأنساق الأسطورية، والطقوس البدائية القديمة، ويقول: «تلك الصور ذات الصيغة البدائية التي تنحدر من طقوس بدانية قديمة، أو من مكرورات أسطورية نسجت في ثوب جديد. والفنان... «الذي» يستعيد تلك الصور، إنما يتسلل إلى رحم الحياة التي يقرّ فيها الجميع، والتي تشكل إيقاع الوجود الإنساني، فتهيئ للفنان أن يصل بأحساسه ومشاعره للإنسانية جموعاً، لأنه يستمد حيوية إبداعه من حيوية الجنس البشري، ومن هنا يصبح العمل الأدبي الناتج رسالة إلى الإنسان في جميع أجياله لأن الفنان إنسان جمعي يحمل

^١ د. عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، ص ٣٤.

^٢ اريك فروم، اللغة المناسبة، The forgotten Language، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١٩٩١، م، ص ٢٣٢.

^٣ لمزيد من الإطلاع ينظر: المرجع السابق، فصل أسطورة أوديب، من ص ٢٣٢ إلى ص ٢٤٠.

^٤ سيجموند فرويد، ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة د. اسحق رمزي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٦ م، ص ٤٠ - ٤١ - ٤٣ - ٤٣.

^٥ عن / لويس بقطر، الدراما في الأدب المصري القديم، مجلة الفكر، مؤسسة الفكر، باريس، ع ٢، ١٩٨٤ م، ص ١٤٦ - ١٤٧.

اللاشعور البشري ويشكل الحياة النفسية اللاشعورية للجنس الإنساني»^(١)، وما تجسدت الأسطورة من حقائق نفسية يعود إلى هذه الصور المتشكّلة والمخزونة في ذاكرة الأمم بحضاراتها المختلفة. إن «الحقيقة النفسية الواحدة التي تجسدتها الأسطورة، اتخذت صوراً متعددة في الحضارات المختلفة. فبالإضافة إلى النفس الجماعية الإنسانية هناك نفس جماعية تحدّها الخصائص القومية والقبلية بل والعائلية. والفرد الذي يضمُّ التراث الأسطوري الإنساني إلى موروثه القومي يوسع مجال شخصيته»^(٢).

إنَّ هذه الخصائص القبلية والقومية، أسهمت إلى حدّ بعيد في بلورة الرواية الأسطورية، عن طريق التفاعل الحضاري والاجتماعي بين الأمم والحضارات التي فرزت هذه الخصائص، ولنلاحظ أنَّ التراث الأسطوري الواحد لدى حضارة ما يتناصف، بل يتتطابق أحياناً مع تراث حضارة أخرى، وإنْ كانت ثمة تباينات فهي جدّ طفيفة، ونأخذ على سبيل المثال أسطورة «تموز وعشتروت»، فهي يونانية وفينيقية، وبابلية باختلافات قليلة جداً في الحدث الأسطوري، وأسماء الشخصيات الأسطورية، فالأساطير توجد «في جميع أنحاء العالم، وهي تميّز، بالرغم من تنوعها المذهل ببعض الخصائص المشتركة. أوجه الشبه مصدرها أنَّ البشر، أيّنما وجدوا، يواجهون المشكلات الأساسية ذاتها، ويطردون الأسئلة ذاتها. فهم يريدون أن يعرفوا سبب وجودهم وحقيقة هويتهم، ويتساءلون لماذا تتصرف الطبيعة كما تتصرف، وكيف ترتبط العلة بالمعلول. فمن صميم طبيعة الإنسان أن يبحث عن مسببات كل أمر يخطر بباله وأن يستجلي معانيه. القاسم المشترك بين الأساطير والأفكار الدينية أنها جميعاً تدلّي بالأسباب والعلل وتجيب على سؤالي «كيف» و«لماذا» حول الكون»^(٣).

وترى الباحثة «ماري لويس فون فرانس»، في تعليقها على دراسات كارل يونج، أنَّ منحى مشتركاً بين الحلم والأسطورة يتجلّى في كونهما يعبران أفضل تعبير عن الأحداث الداخلية النفسية^(٤). إذا كان كارل يونج أولى الجانب الأسطوري في الفكر الإنساني أهمية بالغة، واعتبر أنَّ المجتمع المنسلخ عن أساطيره يعني حالة مرآبية -فتح الميم والراء-. تجعله يفقد قيمة الروحية والتراثية، فإنَّ الباحث الدكتور خليل أحمد خليل يرى أنَّ هذا الانسلاخ ضروري جداً، ويدعو إلى قطيعة معرفية إيديولوجية مع الفكر الأسطوري، فلقد عالج هذا الجانب من وجهة نظر مغايرة لكارل يونج، وذلك في كتابه «مضمون الأسطورة في الفكر العربي»، وفي رأيه أنَّ الفكر الأسطوري أهمُّ أسباب تخلف المجتمع الإنساني، لأنَّه فكر قمعي اضطهادي، يعتمد العبودية منهجاً وسبيلًا، فسيادة الفكر الأسطوري هو تكريس لسيادة العبودية على الطبقات الفقيرة، يقول: «فحينما يسود فكر أسطوري (وهو فكر اضطهادي عبودي بطبيعته) تسود العبودية الاجتماعية على الطبقات العاملة والفقيرة»^(٥).

ويمكن القول إنَّ اللجوء إلى الفكر الغيبي الأسطوري إنما هو هروب من عالم الواقع المحاصر بأنواع الاستلاب كافة أملاً في تجاوز الواقع إلى أفق رحب أكثر قدرة على تحقيق كرامة الإنسان وإنسانيته بعد أن فقد آماله وطموماته نتيجة للتفاه والقمع اللذين يفسدان بني الحياة الإنسانية، ونتيجة لسيادة علاقات الاستهلاك اللإنسانية التي فرضت قيمها وأطرت المجتمع داخل إطار السلعة، فعندما يحسَّ الإنسان بفيصل حاد بينه وبين مجتمعه، وأنه فقد لأسباب تواصله مع العالم،

^١ C.G.Jung: Modern Man In Search Of A Soul, Translated By W.S.Dell & Cary F. Baynes, London, 1966. P. No. 195.
عن / عبد الفتاح محمد أحمد، المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، دار المناهل، بيروت، ط١، ١٩٨٧ م، ص ٢١.

^٢ C. G. Jung, Two Essays Of An Analytical Psychology, Works Of C. G. Jung. Tr. F. F. Ghull, (New York), 1966. V.7. P. ٢٠.
ترجمة ريتا عوض في كتابها: أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، نيسان "أبريل" ١٩٧٨ م، ص ٣٠.

^٣ د. ماجد فخرى وأخرون، مس، ص ٨٣.

^٤ مجلة فكر وفن، مؤسسة إنترناسيونيز، ميونخ، المانيا، العدد ٤١، سنة ١٩٨٥ م، ص ٤٧.
^٥ مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣ م، ص ٨٣.

وأن حياته ليست إلا ظلًا زائفًا، وأن جل جهوده وطاقاته تذهب سدى في مجتمع السلعة إلى غرباء عنه وعن طبقته، أمام هذا الموقف يرفض بنى الحياة الحاضرة ويلجأ إلى الأسطورة كمعادل بديل، ولهذا نجد كثيراً من الأقوام والشعوب تؤمن بفكرة البعث بعد الموت، وترى أن حياتها الحاضرة لحظة عابرة، ظل زائف، ولا تزال البنية الذهنية العربية في بعض مناطق العالم العربي تؤمن بعودة الميت إلى الحياة من جديد، إذ تحل روحه في جسد آخر. وهذه هي فكرة الانبعاث التي ركز عليها الفكر الأسطوري في كل مظاهر الحياة الاجتماعية، والتي استفاد منها الخطاب الشعري العربي المعاصر بشكل واضح جداً. ومن تجليات فكرة الانبعاث الأسطوري في الحياة الاجتماعية، وجود كثير من الناس يصرّون على معرفتهم بدقة مفصلة عن حياة سابقة عاشوها في جيل مضى، بل من الغريب أيضاً أن يذكروا أقرباء لهم في مدن أخرى، لم يشاهدوا هم طيلة حياتهم.

إن إصرار هؤلاء الناس على معرفتهم بحقائق عashوها في جيل مضى، ما هو في بيته العميقة إلا تأكيد على فكرة الانبعاث، ورفض للموت كنهاية حتمية. وهذه الفكرة أدت بدورها إلى أن يقوم بعض الناس بأعمال بطولية وانتحارية خارقة، فطالما أن الروح ستحل في جسد جديد، ينمو ويكبر بدوره، ويتجدد، فليكن الموت مؤقتاً كرؤبة جمالية تنتهي وضعاً غير إنساني، أملاً في بديل حضاري وإنساني جديدين. أما الدكتور عبد الحميد يونس فيجد صلة بين الأسطورة والحكاية الشعبية، ويرى أن علم «الميثولوجيا» هو المادة الرئيسية التي تمثل أصل الحكاية الشعبية ومنبعها^(١). يقول: «والأسطورة تُعد مادة للعلم المتخصص في دراساتها، و هو علم الأساطير أو «الميثولوجيا» وهذا العلم إنما يعني بها و هي حية فَعَالَة تقوم على العقيدة والشاعرية والشكل التمثيلي، فإذا تحولت إلى عقيدة ثانوية أو ارتبطت بالشعائر الاجتماعية أو أصبحت حكاية شعبية فإنها تخرج من إطار علم الأساطير وتصبح مادة رئيسة من مواد علم الفلكلور أو المؤثرات الشعبية»^(٢).

إن هذه التباينات داخل الاتجاهات الفكرية التي حاولت تفسير أساطير الأمم والحضارات السابقة، قدّمت للمهتمين بالبحث الميثولوجي خدمات جلّة رغم تباينها. ويبدو أن المنهج الواحد بعينه قاصر عن استيعاب طاقات الأسطورة، و تداخلاتها الشديدة مع الخرافية والحكاية والرموز الشعبية. إن الباحث في هذا الحقل يحتاج إلى أكثر من اتجاه لفهم الرواية الأسطورية العميقة وبواطنها ومكوناتها، وطالما أن مصطلحها نفسه يكتنفه الغموض وعدم الثبات، إذ «ليس من السهل تثبيت دعائم هذا المصطلح، فهو يشير اليوم إلى «حقل من حقول المعاني». فنحن نسمع عن رسامين وشعراء يبحثون عن نواحٍ أسطورية، ونسمع عن «أسطورة» التقدم أو الديمocratique، كما أنتنا نسمع عن «عودة الأسطورة في الأدب العالمي». ومع ذلك نسمع أن ليس بوسع المرء أن يبدع أسطورة أو يختار الاعتقاد بها أو يرغب في إيجاد أحدها»^(٣)، وطالما أن المصطلح غامض، فإن الاتجاهات والمدارس الفكرية التي فسرت هذا المصطلح ودرست علاقته مع العلوم الأخرى ليست نهائية، بل قبلة لمزيد من البحث والتجربة المعرفيين.

المصادر والمراجع

- المعاجم والموسوعات
 ١. البعلبي، منير: المورد، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة ١٩٨٣ م.
 ٢. الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، م ٣ ، دون تاريخ.
 ٣. عبد النور، د. جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١ ، آذار، مارس، ١٩٧٩ م.

^١ الحكاية الشعبية، ص ١٥.

^٢ د. عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، ص ٣٥-٣٤.

^٣ رينيه ويليك، اوستن وارين، نظرية الأدب، ص ٢٤٧.

- ٤. فخرى، د. ماجد، و: عزقول، د. كريم ، و: البقيلي، د. فاروق وآخرون: موسوعة بهجة المعرفة، أشرف الصادق النيهوم، المجموعة الثانية "الإنسان والمجتمع" ، الشركة العامة، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٧٩-٣-١ م.
- ٥. ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، طبعة خياط، دون تاريخ، ج ٢.
- ٦. وهبة، د. مجدي، و: المهندس، كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، ط ١، ١٩٧٩ م.
- ٧. يونس، د. عبد الحميد: معجم الفولكلور، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣ م.
- ٨. A. S. Hornby Dictionary Of Current English, Oxford, University Press :Oxford Advanced Learner's

• **الكتب العربية**

- ١. إسماعيل، د. عز الدين: التفسير النفسي للأدب، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، د ت.
- ٢. خان، د. محمد عبد المعين: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداة، بيروت، ط ٣، ١٩٨١ م.
- ٣. خليل، د. خليل أحمد : مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٧٣ م.
- ٤. راغب، د. نبيل: دليل الناقد الأدبي، مكتبة غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧ م.
- ٥. عوض، ريتا : أسطورة الموت والانتباث في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، نيسان "أبريل "، ١٩٧٨ م.
- ٦. فريحة، د. أنيس: ملامح و أساطير من أوغاريت "رأس الشمرا" ، منشورات الجامعة الأمريكية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ م.
- ٧. أحمد، د. عبد الفتاح: المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، دار المناهل، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م.
- ٨. يونس، د. عبد الحميد: الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ١، ١٥ يونيو ١٩٦٨ م.

• **الكتب الأجنبية المترجمة**

- ١. رائقين، ك. ك: الأسطورة، ترجمة جعفر صادق الخليلي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط ١، ١٩٨١ م.
- ٢. فراري، هيرمان نورثروب: في النقد والأدب، "الأدب والأسطورة" ، ترجمة عبد الحميد ابراهيم شيخه، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، طبعة ١٩٨٩ م.
- ٣. فروم، اريك: اللغة المننسية، The forgotten Language ، ترجمة محمود منفذ الهاشمي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.
- ٤. فرويد، سigmund: ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة د. اسحق رمزي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٦ م.
- ٥. ويليك، رينيه، و: وارين، اوستن: نظرية الأدب، ترجمة: محى الدين صبحي، منشورات المجلس الأعلى للفنون والأداب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٧٢ م.

• **المجلات والدوريات**

- ١. أسعد، د. سامية: "الأسطورة في الأدب الفرنسي المعاصر" ، مجلة الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد ١٦ ، العدد الثالث، ١٩٨٥ م.
- ٢. الياد، ميرسيما: "بنية الأساطير" ، ترجمة: د. محمد يشوتي، مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، العددان ١٤/١٣ ، ربىع ١٩٩١ م.
- ٣. بقطر، لويس: "الدراما في الأدب المصري القديم" ، مجلة الفكر، مؤسسة الفكر للنشر، باريس، العدد الثاني، ١٩٨٤ م.
- ٤. جريح، نهى: " بين الأسطورة والخرافة " ، مجلة هنا لندن، هيئة الإذاعة البريطانية، لندن، ع ٤٤٠، يونيو، ١٩٨٥ م.
- ٥. الشمعة، خلدون: " مدخل إلى مصطلح الأسطورة" ، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة و الأرشاد القومي، دمشق، العدد ١٩٧١ ، تموز، ١٩٧٨ م.
- ٦. عثمان، د. أحمد: " على هامش الأسطورة الاغريقية في شعر السباب" ، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الثالث، العدد الرابع، يوليو، سبتمبر، ١٩٨٣ م.
- ٧. عثمان، د. أحمد: مجلة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، العدد السابع، مارس، ١٩٨٥ م.
- ٨. لوبيزه فون فرانس، ماري: مجلة فكر وفن، مؤسسة انترناسيونيز، ميونخ، المانيا، العدد ٤١ ، سنة ١٩٨٥ م.

• **المراجع الأجنبية**

1. C.G.Jung: Modern Man In Search Of A Soul, Translated By W.S.Dell & Cary F. Baynes, London, 1966.
2. C. G. Jung, Two Essays Of An Alytical Psychology, Works Of C. G. Jung. Tr. F. F. Ghull, (New York), 1966. V.7. Books, Inc, New York,.
3. M.Elide, Aspect Du Myth. Ed. Gallimard, Collection Idées, Paris, 1963.